الاتساق والانسجام؛ المفهوم والمصطلح

Professor Dr. Dyab Ghazawi
Professor, Chairman Department of Arabic
Fayoum University - Egypt
E-mail: mdg00@fayoum.edu.eg

Abstract

Since its founding by Ferdinand de Saussure, linguistics has been confined to the narrow boundaries of the sentence, its patterns, and its changes. As the sentence was the largest linguistic unit, which constituted a stumbling block in the advancement of the linguistic lesson, as the process of fragmentation and division became the dominant one in looking at the world of the text, and then this science arose based on the limitation of the sentence to the horizons of the text and the space of discourse, so the text - for this - constitutes a concept Central in the linguistics of the text, which is - rightly - a scientific revolution in the modern language lesson.

Keywords*: Linguistics, Sentence patterns, Process of fragmentation, limitation of the sentence, Scientific revolution.*

نشأة علم النص وبداياته

ظلت اللسانيات منذ تأسيسها على يد فرديناند دي سوسير حبيسة الحدود الضيقة للجملة وأنماطها وتغيراتها؛ إذ كانت الجملة أكبر وحدة لسانية, مما شكل حجر عثرة في النهوض بالدرس اللغوي, حيث أصبحت عملية التجزئ والتقسيم هي السائدة في النظر إلى عالم النص, ومن ثم نشأ هذا العلم منطلقا من محدودية الجملة إلى آفاق النص وفضاء الخطاب, فالنص – لهذا – يشكل مفهوما مركزيا في لسانيات النص, التي تعد – بحق– ثورة علمية في الدرس اللغوي الحديث.

وترجع تسمية علم لغة النص –كما يقول زيتسلاف – إلى فاينرش Weinrich, غير أن له إرهاصا في المصطلح الإسباني Linguitica Del Texta الذي نلقاه لدى كوزريو Coseriu[1]. ويسمى هذا العلم في اللغة الفرنسية Science Du Texte , بينما يسمى في الإنجليزية تحليل الخطاب Discourse Analysis.[2]

مراحل دراسة علم النص

لم يستوِ علم النص فجأة على سوقه, بل كانت له إرهاصاته البدائية منذ أوائل القرن العشرين؛ حيث ولد من رحم البنيوية الوصفية والنحو التوليدي لتشومسكي حتى هاريس مرورا بفان دايك وهاليداي, حتى اشتد عوده على يد روبرت دي بوجراند الذي أعطاه الصبغة الأساسية التي استحالت إلى واقع ملموس وعلم مدروس.

ومن ثم فيكاد يجمع الدارسون لهذا العلم على أن الإرهاصات الأولى له[3] قد بدأت في التشكل على يد اللغوي الأمريكي زاليغ هاريس Zellig Harris تلميذ بلومفيلد Bloom Field وأستاذ تشومسكي Tchomisky؛ إذ إنه أول لساني يوسّع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتعدى الجملة إلى الخطاب مع الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي, وقد أشار هاريس في مقالتهDiscourse Analysis أن" اللغة لا ترد في صور كلمات أو جمل منعزلة, بل في نص مترابط بدءا من المنطوق المكون من كلمة واحدة حتى المؤلف من عشرة مجلدات, من الحوار الفردي حتى المناظرة العامة"[4].

وقد حاول هاريس في دراسته **تحليل الخطاب** أن يجري تحليلا بنيويا صارما للنصوص المقروءة, وقد استعان في ذلك بتقنيات التجزئة والاستبدال الخاصة به، ووصل بناء على منهجه إلى أقسام متكافئة من أجزاء نصية, النص إذن بالنسبة لهاريس تتابع من جمل كثيرة ذات نهاية[5].

وإذا كانت آراء هاريس تعد نقطة تحول جذرية إلى أهمية تجاوز الدراسات اللغوية من مستوى الجملة إلى آفاق النص, فإن تون فان ديك Teun Van Dijk يعد المؤسس الحقيقي لعلم النص عبر العديد من كتبه ومؤلفاته, ومنها: النص والسياق, والنص؛ بنياته ووظائفه[6].

أهمية علم النص

ترجع أهمية علم النص أنه يقوم بدراسة النص " من حث هو بنية مجردة تتولد بها جميع ما نسمعه أو ما نطلق عليه لفظ "نص"، ويكون ذلك برصد العناصر القارة في جميع النصوص المنجزة, مهما كانت مقاماتها وتواريخها ومضامينها ". [7] ومن ثم فقد عُني هذا العلم بتحليل النص أو الخطاب، واضعا أسسه ومعاييره لاتساق الأول وانسجام الثاني.

ويرى برينكر Brinker أن مهمة علم النص وصف الشروط والقواعد العامة لتكوين النص, التي تعد أساس النصوص الفعلية وصفا منظما, وأن يوضح أهميتها لتلقي النص. [8]

موضوعات علم النص

قسم زيتسلاف علم النص إلى ثلاثة علوم رئيسة، لكل علم منها موضوع خاص على النحو التالي:

الأول: **علم النص النظري (نظرية النص)**, وهذا هو علم الموضوع العام للنص, علم بناء النص, تشكيل النص.

الثاني: **علم النص الوصفي (تحليل النص)**, بوصفه علما عمليا لتحليل النصوص وتصنيفها, ويعنى بما يسمى علم أنواع النصوص " **تنميط النصوص** ".

الثالث: **علم النص التطبيقي**, وهو علم استخدام النصوص واستيعابها, وتعليمها, ومشكلات عدة مشابهة[9].

النص Text

ينحدر الأصل اللغوي لكلمة نص (Texte ,Text) في الثقافة الغربية من الأصل اللاتيني للكلمة Textus، وتعني أصلا، النسيج أو الأسياخ المضفرة, مأخوذا من الفعل اللاتيني Textrere بمعنى نسيج[10], ثم انتقل هذا المعنى اللغوي للنص إلى المعنى الاصطلاحي له؛ حيث يشبه النسيج الذي تتضام خيوطه بشكل منتظم متلاحم, مشكلة في النهاية نسيجا متماسكا متناسق الأجزاء,"ويبدو أن العلاقة بيّنة في هذا النقل؛ فإذا كان النسيج المادي يتكون من السدى واللحمة والمنوال ... فإن النص يتكون من الحروف والكلمات المجموعة بالكتابة "[11].

وقد شُغِلَتْ الدراسات البنيوية والأسلوبية والنصية بتحديد مفهوم النص, وإن اختلفت مقاربات الباحثين والنقاد بتعدد الخلفيات المعرفية والمرجعيات الثقافية والمنطلقات الإبستمولوجية؛ إذ رام كثير منهم وضع تحديد له دونما التوصل إلى تعريف جامع مانع له – وأنى لهم ذلك؟! – ومن ثم بقي النص إشكاليا ضبابيا Fuzz ملتبسا, مستعصيا على التعريف والتأطير؛ نظرا لزئبقيته وانتمائه إلى أكثر من مجال معرفي.

ومن ذلك تعريف هارفج Harvag للنص- الذي يؤكد فيه على الجانب اللغوي من خلال التسلسل الضميري- بأنه تتابع مشكل من خلال تسلسل ضميري متصل لوحدات لغوية[12]. ولعل هذا قريب من تعريف الأزهر الزناد الذي يعرف النص" بأنه نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض من خلال تسلسل ضميري , تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد"[13].

وإن كان في هذا التعريف تقزيم للتسلسل وانحصاره فقط في الضمائر دون سواها, ومن ثم يبدو لنا تعريفا ضيقا, لا يبرز المكون النحوي التركيبي فضلا عن غيره من المكونات, ولذلك لا يلبث الزناد أن يعرف النص بعد ذلك بأنه نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض, هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نص [14].

ومن التعريفات الجامعة التي تبرز مكونات النص تعريف هارتمان Harttmann للنص بأنه أي جزء مفيد من الكلام ذي دلالة ووظيفة, وهو علامة لغوية أصيلة, تبرز الجانب الاتصالي السيميائي[15].

أما كلاوس برينكر Klaus Brinker فإنه يقدم أكثر من تعريف, متدرجا من المكون النحوي مرورا بالدلالي وصولا إلى التداولي, فيعرف النص بداية بأنه" تتابع متماسك من الجمل"[16], ثم يركز على المكون الدلالي في تعريف آخر للنص بأنه : مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية, تترابط بعضها مع بعض على أساس محوري – موضوعي من علاقات منطقية دلالية.

ولا يكتفي برينكر بإدخال التماسك الدلالي, بل يحاول في تعريف ثالث أن يدخل عنصر التماسك التداولي للنص الذي ينطلق من تضمُّن نص ما في موقف اتصالي باعتباره يؤدي وظيفة اتصالية[17], وذلك فيما

أسماه تعريفا مدمجا من الناحية النحوية والتواصـــلية Communicative Fanction ، فالنص وفقا لهذا المفهوم تتابع محدد من علامات لغوية متماسكة في ذاتها, تسير بوصفها إلى وظيفة تواصلية مدركة[18]. وبالرغم من أن هاليداي ورقية حســن (Halliday, Hasan) قد اتجها في كتابهما (Cohesion in English) إلى دراســة المظاهر النحوية الشــكلية التي تؤســس نصــا ما, فإنهما – في الوقت ذاته – يعرفان النص" بأنه وحدة دلالية, وهذه الوحدة ليست شكلا لكنها معنى"[19].

وفي معرض آخر يربط كل من هاليداي ورقية حســن النص بالســياق الاتصــالي وتأثيره في المتلقي؛ حيث يقولان: "نحن نســتطيع تحديد النص بطريقة مبســطة بالقول: إنه اللغة الوظيفية التي تفعل أو تؤدي بعض الوظائف في السياق"[20].

ويمكننا من استظهار آراء العلماء والباحثين في تعريف النص إبراز أهم مكوناته, وهي ثلاثة:

الأول: المكون النحوي التركيبي Grammer

الثاني: المكون الدلالي Semantics

الثالث: المكون التداولي Pragmatics

ومن ثم فإن المفهوم الأشمل للنص هو الذي يؤكد ضــرورة تركيزه واحتوائه على هذه المكونات الثلاثة: نحويا ودلاليــا وتــداوليــا, ومــن ذلــك تــعريــف بــوجــرانــد ودريســـــلــر لــلــنــص بأنــه"حــدث تواصُــلي Communicative Occurence **يلزم** لكونِه نصــا أن تتوافر به ســبعة معايير للنصِّــية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير"[21].

الخطاب Discourse [22]

إذ بينما نحاول الكشــف عن مفهوم النص واســتجلاء معانيه, وتفتيت مبانيه, وتفكيك جزئياته, يبرز على الســطح مصــطلح آخر لصــيق به, ألا وهو الخطاب, وقد تعددت الآراء، واختلفت التصــورات، وتضــاربت المشارب في التعرض لكل منهما، وإدراك الفروق بينهما .

إن ثمة فرقا بين النص Texte والخطاب Discourse, وفي ذلك يقول ديفيد كريســـتال David Crystal: فالخطاب هو امتداد متواصل من وحدات لغوية أكبر من الجملة المنطوق منها خاصة.[23] أما النص فهو تدوين هذه الامتدادات اللغوية, يقول بول ريكور: لنســمِّ نصــا كل خطاب تثبته الكتابة, وعلى هذا التعريف يكون التثبيت بالكتابة مؤسسا للنص[24] .

كما فرق بوجراند بين الخطاب والنص؛ فالأول من وجهة نظره يركز على تحليل اللغة المنطوقة, أو ما يعرف بتحليل الخطاب Discourse Analysis , بينما يركز النص على اللغة المكتوبة، أو ما يعرف بتحليل النص Texte Analysis [25].

ويرى ديان مكدونيل أن النص جزء من الخطاب[26], أما رافائيل ســـالكي فيرى أن النص والخطاب مترادفان, وهما يفيدان ما فوق الجملة المفردة [27]. وهذا ما نجده أيضـــا في قول رولان بارت:" فالنص يظل في كل الأحوال متلاحما مع الخطاب, وليس النص إلا خطابا, ولا يســـتطيع أن يوجد إلا عبر خطاب آخر"[28].

وإن كنت أرى أن الفارق بينهما يكمن في كون النص مدونة كتابية مســـجلة على الورق, بينما الخطاب كلام حواري تفاعلي يعتمد على مرسـل ومرسـل إليه. ومن ثم فإن النص يظل نصـا ما دام حبرا مسـودا, مســـجلا عبر وســـيط مادي, فإذا تعامل معه قارئ وتفاعل معه, متحاورا متجادلا, موافقا أو مخالفا, فإنه حينها يستحيل خطابا يخضع لظروف المتكلم والسياقات المنتجة المختلفة.

وإذا كان النص يعتمد أكثر على مســتوى البنية الســطحية – بما يشــتمل عليه من عناصــر تركيبية نحوية اتساقية– فإن الخطاب يتجه أكثر نحو البنية التحتية الدلالية وما تشتمل عليه من انسجام وبنى كلية وقضايا معنوية, كما يؤم نحو التداولية بما تشتمل عليه من سياقات متنوعة وأفعال كلامية متباينة.

فالخطاب من وجهة نظرنا يربط النص ببنيته الداخلية بالبنى الخارجية والظروف الســـياقية المقامية, وإن كان تعريف بوجراند ودرســـلر الســـابق للنص يجمع بينهما, ويجعل الاتفاق أكثر من الاختلاف, وبهذا تندثر الفروقات بينهما وتذوب الاختلافات, بل إن هذا التعريف يجعل كلا من النص والخطاب متطابقين, ومن ثم يغدو الخطاب نصـا, والنص خطابا, وإن كان مصـطلح الخطاب– في الوقت نفســه– يجعله أكثر إيحاء بمفهوم السياق والتداولية مقارنة بالنص الذي ينصرف بالأساس إلى المتن والمدونة والتسجيل والكتابة .

النصية Textualitty

إن العمل الأهم للســـانيات النص هو دراســـة مفهوم النصـــية من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصـالية المتخذة من أجل اسـتعمال النص[29]. ومن ثم فإن الترابط بين أجزاء النص هو أبرز خصـائص النصـية التي هي" طرق تُسـتحضـر لتكوين نحو نصـي, واسـتمرارية خطابية, وتأخذ النصـية شـكل تمثيلة سيميائية للخطاب"[30] .

ويبدو أن ثمة صـعوبة تكتنف تحديد مقاييس ثابتة ومعايير موضـوعية حيادية لضـبط النصـية والتمييز بين النص واللانص, وبالرغم من ذلك فإن الباحثين ما طفقوا يبحثون ويحاولون بين الفينة والأخرى وضـع بعض المعايير التي تعبر عن المرجعية الثقافية والخلفية الإبستمية لكل واحد منهم .

وفي هذا الإطار يقترح إيزنبرج Isenberg عام 1967 قائمة كاملة نسبيا لنظرية نصية مؤسسة على تحليل التواصل, وهي:

1- الشرعية الاجتماعية
2- الوظيفة التواصلية
3- الدلالية
4- الموقفية
5- المقصدية
6- جودة السبك
7- كمال الحبك
8- النحوية [31]

وغني عن البيان هنا تداخل بعض هذه المعايير وتشابكها؛ إذ يمكن أن تكون الشرعية الاجتماعية هي الوظيفة التواصلية, والنحوية هي جودة السبك, والدلالية هي كمال الحبك, لنخرج في النهاية بخمسة معايير رئيسة هي: السبك والحبك والتواصلية والمقصدية والموقفية.

بيد أن الباحثين والنصيين يكادون يجمعون على تبني تلكم المعايير النصية التي أقرها كل من روبرت دي بوجراند Robert Alain De Beougrand وفولفجانج دريسلر Wolfgang Dresslar , والتي بناءً عليها عرفا النَّص بأنه: "حدث تواصُلي Communicative Occurence **يلزم** لكونِه نصًّا أن تتوافَر به سبعة معايير للنَّصِّية مجتمعة، **ويَزول** عنه هذا الوصْف إذا تخلَّف واحد من هذه المعايير"[32], وهذه المعايير هي:

1- السبك Cohesion.
2- الحبك Coherence.
3- القصد Intentionality.
4- القبول Acceptability.
5- الإعلام Informativity.
6- المقاميَّة Situationality.
7- التناصّ Intertextuality.

وهذا يؤكد أن النصية الكاملة تتمثل في مراعاة الجوانب النحوية التركيبية والدلالية المضمونية والاتصالية التداولية , وهي التي سبق أن أكدنا عليها في التعريف الشامل للنص .

بيد أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل لا بد من توافُر هذه المعايير السبعة مجتمعة في النص، ليصير النص نصا؟ فبينما نجد **سعد مصلوح** يعتبر تحقُّق هذه الشروط السبعة ضروريًّا ليكون النَّص نصا، نجِد

سعيد بحيري يرى أن درسلر ودي بيوجراند"لا يعنيان ضرورة تحقُّق هذه المعايير السبعة في كل نص، وإنَّما يتحَق الاكتِمال النصِّي بوجودها، وأحيانًا تتشكَّل نصوص بأقل قدر منها, ولعل أهم أربعة معايير نصية النص تتجسد في الربط والتماسك والقصدية والموقفية"[33], يقصد الأربعة الأولى منها.

ولعلَّ الأخير أدق وأصوب من وجهة نظرنا؛ فدي بوجراند نفسه يشير إلى هذا حين يقول: " أما أن يمكن أو لا يمكن لشيء أن يعدّ نصا، فذلك يتوقف على **مُراعاة** هذه المعايِير"[34]، والتعبير بـ**(مراعاة)** هذه المعايير يختلف عن (**وجوب**) توافُرها جميعا كما ورد في التعريف الذي أورده عنه سعد مصلوح.

ولعل هذا ما حدا ببوجراند إلى تقسيم هذه المعايير السبعة إلى ثلاثة أقسام, وهي:

- ما يتصل بالنص ذاته وهما معياران: (الاتساق – الانسجام).
- ما يتعامل مع المتلقي ويشمل: (القصدية – المقبولية).
- ما يتصل بالسياق المادي والثقافي ويشتمل: (الإعلامية – الموقفية – التناص).

وإذا كان بوجراند نفسه ومن بعده سعد مصلوح يجعلان كلا من المعيارين الأولين (Coherence, Cohesion) يختصان بالنص دون سواه, فإن الحكم على أية متتالية من الجمل بأنها نص يغدو مقروناً بتوفر الاتساق النحوي والانسجام الدلالي على ما سيأتي تفصيله لاحقا.

مفهوم الاتساق Cohesion [35]

يحتل الاتساق مكانة مهمة في الدراسات النصية, فلا نكاد نجد مؤلفا في علم النص يخلو منه في العنوان أو في أحد أبواب الكتاب, ولأهميته جعله هاليداي ورقية حسن عنوانا لكتابهما, بل إنهما قد بالغا فجعلاه المعيار الأوحد للنصية دون غيره .

والاتساق هو المعيار الأول من معايير النصية لدى بوجراند, بل هو أهم المعايير التي تميز النص عن اللانص, ومن خلاله يعتمد فهم كل جملة مكونة للنص على علاقتها بباقي الجمل الأخرى, وصولا إلى بنية كلية ذات ترابط وثيق على مستوى البنية الشكلية Formal Structure .

ويترتب الاتساق –كما يقول بوجراند – على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية Surface على صورة وقائع, يؤدي السابق منها إلى اللاحق Progressive، بحيث يتحقق لنا الترابط الرصفي Sequential Connectivity , وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط[36].

وتعرفه **منى بيكر** (Mona Baker) بأنه شبكة من المفردات والعلاقات النحوية التي تربط الكلمات والجمل والفقرات في النص ربطا منطقيا, وهو يساعد القارئ على فهم المعاني بالإشارة إلى الكلمات الأخرى التي ترتبط بالعناصر اللغوية المحيطة بها [37].

ويعرف سعد مصلوح السبك / الاتساق بأنه: الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص ... أي الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق ... ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو" **الاعتماد النحوي** Grammatical Dependency".(38) .

أما مفهوم الاتساق عند كل من هاليداي ورقية حسن فإنه يختلف عما سبق؛ إذ " هو مفهوم دلالي, يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة بين طيات النص والتي تحدده كنص" (39).

ويمكننا – من ثمة- تعريف الاتساق بأنه كل الوسائل النسقية والمباني النحوية والروابط اللفظية والعلائق الداخلية الموجودة على المستوى السطحي للنص, والتي تمنح النص نصيته, وتجعل منه كلا مترابطا متلاحما متسقا. أي أن الاتساق يتكئ على مجموعة من الوسائل الشكلية التي تعتمد على التتابع الخطي بين الجمل والفقرات, وصولا للتلاحم والتماسك بين أجزاء النص كله.

وقد تعددت اجتهادات العلماء والباحثين حول هذه الوسائل التي تخلق النصية, وتعمل على اتساق النص وتماسكه, ومن أشهرها هذه الاجتهادات ما يلي:

وسائل الاتساق النصي Textual Cohesion **عند بوجراند هي:**

1- إعادة اللفظ Recurrence
2- التعريف Definitness
3- اتحاد المرجع Co- Refrence
4- الإضمار بعد الذكر Anaphora
5- الإضمار قبل الذكر Cataphora
6- الإضمار لمرجع متصيد Exophora
7- الحذف Ellipsis
8- الربط Junction (40)

ويؤكد بوجراند أن هذه الوسائل تعتمد على السياقContext, كما أن هذه الوسائل تقدم عددا من صور الإسهام في الكفاءة النصية Textual Efficiency.

بينما وسائل الاتساق عند دافيد كريستال هي:

1- العطف
2- المرجعية بأنواعها القبلية والبعدية
3- الاستبدال
4- الحذف
5- التكرار

6- أدوات معجمية [41]

أما وسائل الاتساق النصي عند رافائيل سالكي فهي:

1- التكرار
2- التقابل في المعنى
3- التقارب في المعنى
4- التركيب
5- التبديل
6- الحذف
7- الإحالة
8- المقارنة
9- أدوات الربط [42]

وأخيرا فإن أدوات الاتساق لدى كل من هاليداي ورقية حسن خمسة هي:

1- الإحالة Reference
2- الاستبدال Substation
3- الحذف Ellipsis
4- الوصل Conjunction
5- الاتساق المعجمي Lexical Cohesion [43]

وفي هذا الإطار يجب أن نؤكد أن غياب هذي الوسائل يجعل النص متهرئا, مجرد كلمات مرصوصة مرصوفة لا رابط بينها, ومن ثم يجعل من الصعوبة بمكان فهم النص فهما صحيحا, أما وجودها فيجعل النص متسقا من الناحية الشكلية والخطية, ومن ثم تبدو الأهمية الكبرى لهذه الوسائل الشكلية في تناسق الترابط البنائي Structural Correlation, مما يجعل النص كلا متماسكا موحدا ونسيجا متلاحما؛ إذ إنها تخلق بنيته وتحقق الاستمرارية الظاهرية الأفقية على المستوى الخطي التتابعي من أول النص إلى منتهاه, وغيابها يؤدي إلى جعل النص أشلاء ممزقة الأوصال, ولهذا فإن الاتساق يؤدي دورا فاعلا في بناء النص وتكوينه, وبدونه تصبح كل جملة كأنها تعيش في جزر منعزلة عن الآخرى, مما يشكل عقبة وانهيارا في فهم النص وتأويله, ومن ثم يفقد النص وظيفته التواصلية ومقاصده الإبلاغية.

الانسجام Coherence[44]

إن النص لكي يكون نصا- كما قلنا- ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل والأدوات والروابط التي تخلق نصيته, ومن ثم تحقق وحدته الشاملة, أي عناصره الاتساقية, بيد أن هذه الوسائل لا تفي – في كثير من الأحيان – في مقاربة النص وتحليل الخطاب وصولا إلى دلالته الكلية وأبنيته العميقة.

ومن ثم وجب البحث عن وسيلة أخرى لتحقيق ذلكم الغرض وتلكم الغاية, فكان الانسجام لسد الفجوات الدلالية وملء الثغرات النصية؛ حيث يعمل في إطار المستوى الداخلي بين طيات المعاني القريبة وأغوار الدلالات البعيدة الخفية والترابط الفكري بين أجزاء النص المختلفة وفقراته المتعددة والتسلسل المنطقي للمفاهيم والعلاقات الداخلية... لننطلق – من ثمة- من الطبيعة الأفقية الخطية السطحية إلى الرأسية العميقة الكامنة، أي أنه ينطلق من متن النص إلى فضاء الخطاب, حيث يتجاوز ظاهر النص وانغلاقية بنية عالمه الداخلي إلى الفضاءات الدلالية والتداولية, ومن ثم الانفتاح على المرجعيات الثقافية والمعرفية المشكلة للخطاب.

وربما يكون **بوجراند** هو أول من تطرق لمصطلح الانسجام, حينما جعله المعيار الثاني للنصية بعد الاتساق,"وهو يتطلب عنده من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه, وتشمل وسائل الالتحام[الانسجام]على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص"(45).

كما استخدم فان دايك Van Dijk في تحليله للنص مفهوم الانسجام، ويعني به الأبنية الدلالية – المحورية الكبرى – وهي أبنية عميقة تجريدية, وذلك بخلاف الاتساق الذي يتمثل في الأبنية النحوية الصغرى وهي أبنية تظهر على سطح النص (46).كما تعده منى بيكر Mona Baker الجهاز الذي يظهر العلاقات المفهومية في النص(47).

ويفرق برينكر بين الربط النحوي والتماسك الدلالي ... فالربط النحوي Kohasion يعني ربط العناصر السطحية للنص بوسائل نحوية محددة ... بينما يسم التماسك الدلالي Koharenz العلاقة التصورية للنص , أي الائتلاف الأساسي بين المفاهيم والعلاقات(48).

أي أن الانسجام يتصل برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي (49). ولهذا فإن الانسجام أعم من الاتساق وأعمق منه بحيث يتطلب بناءه من المتلقي صرف الاهتمام نحو العلاقات الخفية التي تنتظم النص وتولده, فتجاوزه رصد المتحقق فعلا أو غير المتحقق إلى الاتساق الكامن والانسجام التام(50).

إن الخطاب- إذن – يستمد انسجامه من فهم المتلقي وتأويله, فهناك نصوص تفتقر إلى الروابط الشكلية، لكنها تصبح منسجمة متماسكة من خلال فهم القارئ وتأويله لها رغم تفككها الظاهر, وتشرذمها الواضح، ومن ثم غدا المتلقي عنصرا فاعلا في إنتاجية النص, ولم يعد سلبيا مستهلكا, بل بدا أيضا منتجا

مبدعا," ولذلك لا يعتبر كل من براون ويول Broun,Yule انسجام الخطاب شيئا محضا وموجودا في الخطاب, ينبغي البحث عنه, وإنما هو في نظرهما شيء يُبنى[51].

ويمكن القول: إن الاتســـاق موجود في النص, يمنحه النص للمتلقي من خلال بعض العلاقات الظاهرية والروابط النحوية والتراكيب المنطقية, أما الانســـجام فهو يتعلق بالعلاقات الدلالية والمقامية التداولية التي يمنحها المتلقي للنص .

ومن ثم فإن النص هو الذي يمنح المتلقي وســـائله اللغوية وروابطه التركيبية الاتســـاقية, بينما يغدو الأمر في الانســـجام على العكس من ذلك؛ بحيث يكون المتلقي هو الذي يمنح النص مبادئه وإجراءاته وعملياته الانسجامية, ولهذا فإننا إذا كنا في الاتساق نسير من ظاهر النص إلى المتلقي, فإننا في الانسجام نسير من المتلقي إلى عالم النص.

آليات الانسجام

اجتهد العديد من الباحثين والنصـــيين في تحديد آليات الانســـجام , لعل أقدمهم ايزنبرج(عام 1968) الذي جعل من **وسائل التنصيص الدلالي Vertextungsmittel [الانسجام] ما يلي:**

1- عدم تغيير الموضوع الرئيس إلى موضوعات جديدة
2- الربط السببي
3- الربط الحافزي
4- تفسير شخصي
5- الربط الزمني
6- ترابطات الشروط
7- تقابل استدراكي
8- انسجام السؤال والجواب
9- المقارنة
10- وسائل نحوية دلالية [52]

بينما مظاهر الانسجام عند فان دايك تتمثل فيما يلي:

1- ترتيب الخطاب
2- موضوع الخطاب / البنية الكلية [53]

أما بوجراند فيرى أن الانسجام يتحقق عبر الآليات التالية:

1- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص
2- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والمواقف
3- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية , ويدعم الانسجام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم [54].

ويهتم كل من براون ويول بالانسجام من خلال النظر إليه من خلال المتلقي, ومن أهم وسائله لديهما:

1- السياق

2- مبدأ التأويل

3 - مبدأ التغريض

الخاتمة

استعرضنا في الصفحات السابقة نشأة علم النص, وكيف تطور, وما هي مراحله, حتى وصل إلينا بالصورة التي نراها الآن, ثم تحدثنا عن معايير النصية, متوقفين عند أهم معيارين وهما الاتساق والانسجام, مفصلين القول في تحديد المفهوم, وترجماته, وقد توصلنا إلى أن أن الأول يعنى بالجانب الشكلي بينما يهنى الانسجام بالجانب الدلالي والبنية العميقة, متحدثين عن أهم آليات كل منهما.

الهوامش

(1) زتيسلاف واورزيناك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمه وعلق عليه:سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003، ص36.

(2) وقد تعددت الترجمات لهذا العلم وفقا للمرجعية الثقافية لكل مترجم، ومن تلك الترجمات: **لسانيات النص**: محمد خطابي في كتابه: **لسانيات النص**، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006. **علم لغة النص**: سعيد حسن بحيري في كتابه **علم لغة النص**، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1، 1997، وينظر: عزة شبل، **علم لغة النص**، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007، وينظر: إلهام أبو غزالة، علي خليل محمد، مدخل إلى **علم لغة النص**، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1999). **علم اللغة النصي**: صبحي إبراهيم الفقي، **علم اللغة النصي** بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000، وينظر: فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى **علم اللغة النصي**، ترجمة: فالح شبيب العجمي، جامعة الملك سعود ، الرياض ، السعودية ، 1999. **آجرومية النص**: سعد مصلوح، **نحو آجرومية للنص الشعري**، دراسة في قصيدة جاهلية، مقالة في كتابه البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2003 . **علم النص**: صلاح فضل، بلاغة الخطاب و**علم النص**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، ع164، أغسطس، 1992. **نحو النص**: أحمد عفيفي، **نحو النص**، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001. **نظرية النص**: إبراهيم خليل، الأسلوبية و**نظرية النص**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997... إلخ.

(3) **يقسم بوجراند مراحل دراسة علم النص إلى ثلاثة مراحل وهي:**

الأولى: استمرت حتى آخر الستينات ، ولا نجد غير إشارات تلمح إلى أنه ينبغي للنص أو الخطاب أن يكون أساسا للدراسات اللسانية ، بداية من إنجاردن 1931 مرورا بهاريس 1952 وانتهاء بفاينرش 1966 ... ولكن آراء هؤلاء لم تؤثر في مسيرة اللسانيات المألوفة ؛ لأنهم اتجهوا في مناهجهم اتجاها معاكسا ؛ ذلك لأن الانهماك في النظر إلى الوحدات الصغرى والجمل المفردة أدى بطبيعة الحال إلى الانصراف عن دراسة النص الكامل .

الثانية: وكان النظر في هذه المرحلة إلى النص من حيث هو جمل متوالية ، وقد تلاقت آراء كثير من اللسانيين حول فكرة لسانيات ما وراء الجملة بداية من هايدولف 1961 مرورا بديك 1968 وانتهاء بأيزنبرج 1971 .

وقد شهد عام 1968 انشقاقا بين ممثلي النموذج النحو التحويلي الذي كان سائدا في ذلك الوقت، مما مهد الطريق أمام الدراسات اللسانية النصية .

الثالثة: وكانت سنة 1972 بشيرا بمرحلة جديدة من البحث في اتجاه نظريات بديلة مما سبقها في حقل اللسانيات أكثر مما كانت مراجعة للنظريات القديمة ، وجاءت المؤلفات الجديدة نقدا لأسس الدراسات النحوية المبنية على الجملة ، فأدت إلى مقترحات بأفكار جديدة، بداية من بيتوفي 1971 مرورا بفان دايك ودريسلر 1972 حتى شميث 1973 . وفي هذه المرحلة تطورت لسانيات النص... وقد عرض بوجراند عشرات المشاريع الفردية لدراسة وبلورة علم النص وكذلك دراسته في الجامعات الغربية.

بدو أن دور لسانيات النص الذي تتزايد أهميته باطراد في كثير من البلدان يشير إلى تحول في الفكر paradigm shift على حد تعبير توماس كوهين ، فالانشغال السابق بالجمل التوضيحية المنعزلة عن مواقف النصوص الاتصالية يتحول إلى اهتمام جديد بحدوث التجليات الطبيعية للغة أي بالنص texte . ينظر في ذلك: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2007، ص65-71.

(4) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 25.

(5) مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ص 54.

(6) يذكر أن النص والسياق من ترجمة عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، دار أفريقيا الشرق، المغرب د.ت. أما الآخر فمن ترجمة محمد العمري، كتاب الرياض، في نظرية الأدب مقالات ودراسات، العدد 38، فبراير 1997.

(7) الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط3،1199، ص 18

(8) كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص17

(9) مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ص35 .

(10) مدخل إلى علم اللغة النصي، ص4.

(11) محمد مفتاح، المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999، ص16.

(12) مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ص55.

(13) نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، ص12.

(14) نفسه ، ص12.

(15) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص108.

(16) التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص24.

(17) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص109.

(18) التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص27، وينظر أيضا: ص25، وينظر قوله: إن هناك شروط تماسك نحوية وموضوعية ووظيفة تواصلية تجعل تتابعا من علامات لغوية نصا، نفس: ص165.

(19) Ruqaia Hasan، M.A.K، Hallidy Cohesion In English،Longman، London ،1976،p.2 .

(20) Ruqaia Hasan، M.A.K، Halliday، Language،Context And Texte : Aspects And Language In Asocial Semiotics Perspective :، Oxford University Press، 1989، p:10

(21) De Beaugrand.ra &Dressler.Wu. Introduction To Text Linguistics، Longman ، London، 1993،p:113

وهذه المعايير هي: الاتساق، الانسجام، القصد، المقبولية، الإعلامية، التناص، المقامية. وسيأتي تفصيل ذلك.

(22) للتفرقة بين النص والخطاب، ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005، ص11-12.

(23) David Crystal، Adictionry Of linguistics And Phonatics، London ،1991. p.106

(24)بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة، وحسان بورقيبة، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ،ط1، 2001، ص105.

(25) النص والخطاب والإجراء، ص98.

(26) ديان مكدونيل، مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2001،ص31.

(27) see :Raphael Salkie، Texte And Discourse Analysis،London،Newyork،1995، p.xi

(28) رولان بارت، علم النص، ضمن كتاب آفاق التناصية؛ المفهوم والمنظور، ترجمة: محمد خير البقاعي، سلسلة دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998، ص44، وينظر أيضا: روجر فاولر، اللسانيات والرواية، ترجمة: لحسن إحمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997، ص66. وينظر: جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، الدار البيضاء ، المغرب، ط2، 1997، ص13.

(29) النص والخطاب والإجراء ، ص95.

(30) معجم المصطلحات الأدبية، عرض وتقديم وترجمة: سعيد علوش، ص214.

(31) مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ص30.

(32)De Deaugrand.Ra &Dressler.Wu. Introduction Tto Text Linguistics، Longman ، London، 1993،p:113 .

في هذا المقام يجب أن نؤكد على اختلاف الباحثين حول المقابل العربي لكل مصطلح، وما سبق هو ترجمة سعد مصلوح، ينظر: نحو أجرومية للنص الشعرى: دراسة في قصيدة جاهلية، ضمن كتابه: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص223 . ينظر: النص والخطاب والإجراء، ص 103 – 105.

ونحن نتفق مع أحمد عفيفي في قوله: إنه لابد أن تنسب هذه المعايير لروبرت دي بوجراند؛ حيث إن كتابه النص والخطاب والإجراء سابق على كتابه مع دريسلر . ينظر: نحو النص، ص30. ويلاحظ هنا أن بوجراند قال بنفرده" **مراعاة**، ثم قال بعد ذلك مع درسلر" **يلزم** ".

(33) علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص146.

(34) النص والخطاب والإجراء، ص106.

(35) تعددت الترجمات العربية لهذا المصطلح ومنها : التماسك، الاتساق، السبك، الربط، الترابط، التضام، التنضيد ... وقد آثرنا مصطلح **الاتساق** وهو نفس ترجمة محمد خطابي للمصطلح في كتابه لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، بينما يطلق عليه سعد مصلوح **السبك** في كتابه في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ويترجمه إبراهيم خليل **التماسك النحوي** في كتابه في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان ، الأردن ط1، د.ت، بينما تترجمه إلهام أبو غزالة وعلي خليل **بالتضام** في كتابهما مدخل إلى علم لغة النص، كما يطلق عليه محمد مفتاح مصطلح **التنضيد**، ينظر : محمد مفتاح : التلقي والتأويل ؛ مقاربة نسقية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص157.وينظر أيضا: التشابه والاختلاف؛ نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط1، 1996، ص125، وينظر أيضا: دينامية النص؛ تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 1990، ص44.

(36) النص والخطاب والإجراء، ص103.

(37) See: Mona Baker، In Other Words، London، routledge،1992،p:180

(38) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص227.

(39) Cohesion in English، P.4

(40) النص والخطاب والإجراء، ص 303-352.

(41) علم اللغة النصي، 1/ 118.

(42) See: Raphael Salkie، Texte And Discourse Analysis،London،Newyork،1995

(43) Cohesion in English ، p.40 .

و ينظر نقد روبرت دي بوجراند لهاليداي وحسن: النص والخطاب والإجراء:ص299

(44) تعددت الترجمات لهذا المصطلح لعل من أشهرها: التماسك، الحبك، الالتحام، الانسجام، وهو ما اخترناه.

(45) النص والخطاب والإجراء، ص 303.

(46) علم لغة النص، ص132.

(47) See: Mona Baker، In Other Words، London، Routledge،1992،p:219

(48) التحليل اللغوي للنص، ص 28.

(49) ينظر: نحو النص، ص 90، محمد العبد، النص والخطاب والاتصـــال، ص90. وقد أورد المؤلف عددا من تعريفات الانسجام.

(50) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص5 . وينظر : محمد مفتاح: في التلقي والتأويل، ص158.

(51) جيليان براون وجورج يول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، د.ت، ص51.

(52) مدخل إلى علم لغة النص، مشكلات بناء النص، ص51.

(53) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 38.

(54) النص والخطاب والإجراء ، ص103.